# خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٤/٢٨م

في مسجد مبارك إسلام آباد تلفورد

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يكتب إلي بعض الناس ويحاولون تقديم الأدلة القوية أيضا على موقفهم أن ظروف الجماعة - كما هي في باكستان حاليا أو في بعض الأماكن الأخرى - تقتضي أن نبدي رد الفعل بدلا من الالتزام بالصبر، وكفانا صبرا، ويحاولون ضرب الأمثال من زمن سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه ليثبتوا كيف أبدت الجماعة ردة الفعل في ذلك الزمن، وقد أجاز حضرته رضي الله عنه الجماعة بذلك في بعض الأماكن. فأقول: ما يُنسب إلى المصلح الموعود من هذا القبيل خاطئ تماما، إذ قد فُهمت أقواله رضي الله عنه بشكل خاطئ. لعل بعض الأحداث من هذا القبيل تكون قد ظهرت للعيان أو يكون أحد قد قرأها ولكنه فهم خطأ. صحيح أنه رضي الله عنه سمح للقيام ببعض الإجراءات ضمن دائرة القانون ولكنه لم يسمح مطلقا بالخروج في التظاهرات كالأوباش. وإن حدث ذلك في مكان ما بصورة التظاهرات أو أن يجمع المسؤول العاملين تحته ويخرج معهم في مسيرة، فلم يكن بإذن خليفة الوقت. على أية حال، كان الإنجليز يحكمون الهند قبل تقسيم البلاد وقد حاول بعض المسؤولين الإنجليز أو أصحاب المناصب الآخرين من معاندينا أن يعُدوا خطابات سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه مثيرة للفساد أو يعدوها مثيرة للفتنة ثم ليقبضوا عليه. ولكنهم خابوا وخسروا كل مرة إذ كان حضرته رضي الله عنه يذكر سلوك المسؤولين في الحكومة ثم يأمر الجماعة في الأخير دائما أنه يجب على جماعات الأنبياء أن يصبروا ويلتزموا بالقانون. وهذا ما اعترف به المسؤولون المعاندون لنا حينذاك وقالوا بأننا كلما ظننا أننا سنجد فرصة البطش به وتنفيذ بنود التمرد والإخلال بالأمن ضده، كان خطابه دائما ينتهي بصورة أخرى تماما إذ كان حضرته ينصح الجماعة دائما وكان يمنعهم من أعمال تخرج من دائرة القانون. وبذلك كانت تخيب مكايد المسؤولين المعاندين. وكيف كان ممكنا أن يقول حضرته رضي الله عنه شيئا يخالف تعليم الإسلام وتعليما أعطانا إياه سيدنا

المسيح الموعود عليه السلام. لقد نصح المسيح الموعود عليه السلام الجماعة بالصبر والدعاء في عدة مناسبات، ووضح جيدا أن الذين أقدامهم حساسة ولا يستطيعون أن يسلكوا طرقا شائكة ومتحجرة ولا يقدرون على الصبر فلينفصلوا عني إن شاؤوا. الصبر وحده هي الميزة التي تميز الجماعة في العالم عن غيرها. يسألني أيضا كثير من الساسة والعاملون في وسائل الإعلام هذا السؤال فأجيبهم بأن الذين دخلوا الأحمدية جاؤوا أيضا من هؤلاء الذين يؤذوننا ويظلموننا. فعلى الرغم من ظلمهم يأتي الناس إلينا باستمرار بفضل الله تعالى؟ كانت طبائعنا أيضا من قبل مثل طبائعهم، وكنا نستطيع أن نبدي ردة فعلنا مثلهم ولكننا آمنا بإمام الزمان الذي علّمنا ترسيخ دعائم الأمن والالتزام بالصبر لنيل أفضال الله تعالى. وقال أيضا أنه إن أمكن لكم السعي للحصول على حقوقكم ملتزمين بالقانون فافعلوا. وقد نصح أيضا بتفويض الأمر إلى الله بغير القيام بإجراءات قانونية أحيانا وقال إن فوَّضتم الأمر إلى الله سيأتي لنجدتكم، وهذا ما حدث بالفعل.

فليكن واضحا أن هذا هو تاريخ الأنبياء، وقد علّمنا المسيح الموعود عليه السلام أن نصبر. إن الناس يستغربون أيضا من هذا الجواب ويثنون عليه أيضا قائلين إن هذا هو رد الفعل الحقيقي للعائشين بالأمن والسلام. أريد أن أزيد الأمر شرحا فيما يتعلق بسيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه وذلك في ضوء إحدى خطبه. في تلك الخطبة ألقى حضرته رضي الله عنه الضوء بالتفصيل على معنى الصبر بل ألقى بعدها سلسلة من الخطب حول الأخلاق الفاضلة وربطها بالصبر. على أي حال سأذكر بعض الأمور مستفيدا من تلك الخطبة. وسأقدم أيضا بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام التي ذكر فيها الصبر في مناسبات مختلفة. لقد عدّ سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه الصبر صفة عظيمة وقال إن الصبر من أهم واجبات جماعات الأنبياء وبدونها لا يمكن أن تتقدم أي جماعة ولا يمكن لها أن تقنع العالم باتباعها. ولم تسبق جماعة نالت نجاحا بغير أداء هذا الواجب. وقال شارحا عن الصبر في تفسير بعض الآيات بقوله: إن الصبر نوعان، أحدهما عندما لا يجد الإنسان قدرة على المقاومة، وهذا الصبر ناتج عن الاضطرار. أما إذا صبر المرء مع القوة فهذا هو الصبر الحقيقي أي عدم الرد بالمثل على المفسدين والظالمين، بمعنى أنه يجب ألا نبدي ردة الفعل التي يبديها المعارضون بل يجب الالتزام بالصبر إلى أقصى الحدود لوجه الله على الرغم من القدرة، كذلك الصبر والرضا على قدر الله على آفات سماوية والتحلي بالشكر.

الصبر بالأردية تعني الالتزام بالسكوت فقط ولكنْ للصبر معان واسعة في اللغة العربية. وعندما نبحث في معناه في العربية نفهمه على وجه صحيح، فما هو الصبر وكيف يجب أن يتحلى به المؤمن؟.لقد

نصح الله تعالى بالصبر في مختلف المناسبات، وقد ذُكرت معانيه بالنظر إلى معانيه الحقيقية في اللغة العربية. وبحسب ما ورد في اللغة للصبر ثلاثة معانٍ، الأول: اجتناب الذنب، ومنع النفس عنه. والمعنى الثاني هو: الاستقامة على الأعمال الحسنة. والمعنى الثالث هو الامتناع عن البكاء والعويل. هذه هي المعاني، فمن منطلق هذا المعنى من واجب الإنسان أن يتصدى على الدوام وبالعزم الصميم للسيئات التي تجذبه إليها، كذلك الاستعداد لمقاومة السيئات التي قد تجذبه إليها مستقبلا. إذن، ليس معنى الصبر أن نجلس عاطلين واضعين في الحسبان بأننا صابرون جدا بل يجب أن يكون الصبر الحقيقي هو طهارة بواطننا باستمرار. والذين يفعلون ذلك يأتي الله تعالى لنصرهم من حيث لا يُحتسَب. يريد المعارضون أن نتخلى عن الصبر ونقوم بأعمال تجعلهم ناجحين في مكايدهم. ولكن الله تعالى يأمرنا أن نستخدم العقل والفطنة ونحاسب أنفسنا جيدا، هل ما نقوم به يتطابق مع أوامر الله أم لا، فيجب أن نعمل بأوامره ﷻ.

شرح الصبر بحسب المعنى الثاني هو أن يستمر الإنسان على الحسنات التي وُفّق لها وليسع جاهدا للقيام بالحسنات التي لم يوفَّق لها إلى الآن. هذا أيضا نوع من الصبر، ويتسبب في قرب الله تعالى. ومن المعلوم أن المرء يوفَّق لهذا النوع من الصبر بكثرة الدعاء، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ إذن، الخاشعون لله والمتواضعون والذين يريدون نوال رضا الله فقط يستطيعون أن يصبروا على هذا النحو. ثم يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ وهذه الدار غير دائمة وهي دار ابتلاء، والدار الآخرة يفوز بها الذين يبتغون وجه ربهم، والصبر عبارة عن ابتغاء مرضاة الله بثبات وتواضع ودعاء. ولن يتأتى ذلك ما لم نتبع تعاليم الله تعالى وما لم نمضِ حياتنا بحسبها، وما لم يكن هدفنا نيل رضا الله تعالى.

ثم كما بينتُ من معاني الصبر الامتناع عن البكاء والعويل. وإذا تعرضتم لأي ابتلاء ظاهري أو مرض أو خسارة مالية أو أي مشكلة أخرى فلا تبكوا ولا تصرخوا مشتكين بأن الله فعل بكم كذا. هذه الأمور من علامات عدم الصبر. الشكوى على الله خطأ كبير. ينبغي أن نفكر دوما أن كل ما لدي هو إنعام من الله، وإذا أخذه الله اليوم فسوف يعطيه غدا، فالذين يملكون هذا التفكير هم المؤمنون وهم الصابرون حقيقةً في نظر الله. فهذه هي المعاني الثلاثة للصبر ولكن من الجدير بالتذكر أن الصبر

يجب ألا يكون بسبب أي تقصير ولا لأي خوف دنيوي، بل يكون لمحض وجه الله تعالى، حينها سيكون صبرا حقيقيا يجذب فضل الله تعالى.

إذا كان ثمة شخص لزم الصمت أمام مسؤول كبير أو سلطان على ظلمه بسبب حكم الله كان صبره صبرا حقيقيا، وإذا كان بسبب الخوف على حياته فهذا ليس صبرا حقيقيا. وإننا حين ننصح الأحمديين بالصبر فذلك بسبب حكم الله. وإذا كنا نهدف إلى الانتقام فهناك كثير من الأحمديين الذين هم مفعمون بالحماس ويقولون إننا لا نبالي بحياتنا ويمكن أن ننتقم من أعدائنا ونلقّنهم درسا مرة واحدة ولكننا لن نفعل ذلك لأن ذلك يخالف ما عُلّمنا به، وإننا نكره مثل هذا التصرف لأن ذلك يتنافى مع شيمة جماعات الانبياء وإننا قد قطعنا عهدا عند البيعة لحماية جميع بني البشر من كل شر. وقد منعنا المسيح الموعود عليه السلام بشدة من مثل هذه الأمور.

ولقد وضح المصلح الموعود رضي الله عنه أيضا ضمن حديثه عن الصبر قائلا اعلموا أنه يجب أن يتبين من عملكم الفرق بين الصبر وعدم الغيرة. مثلا إذا طلب شخص من أحد قرضا لضرورته وهذا الشخص الثاني يسيء إليه ويصمه بالوقاحة وقلة الحياء ويصفه ذليلا، وطالبُ القرض يتغاضى عن ذلك باسما وظانًّا أنه محتاج في هذا الوقت لذا لا بأس أن نسمع شتائمه أيضا، فهذه وقاحة وعدم الغيرة. ولكن في بعض الأحيان يُضطر المرء للصبر من أجل الأهداف القومية والدينية ويُضطر للزوم الصمت وهذا الصبر لا يكون لأغراض نفسانية، فهذا هو الصبر الحقيقي وليس عدم الغيرة. مثلا حين يكون انتقامه جالبا المصيبة على قومه، فلو هاجم هناك و لم يصبر فهو سيسمى سفيها لأنه بتصرفه هذا يسيء إلى قومه. فحين لا ينتقم لمنفعة قومه أو لحمايتهم من الخسارة فسيكون صبره صبرا بالفعل. يجب أن نتذكر هذا الأمر.

هناك بعض الناس الذين يُبدون حماسا شديدا ويقولون إن الشرطة اعتقلت فلانا فيجب أن نتجمّع ونتظاهر فاعلموا أن هذا كله خطأ. إنما أعداؤنا يريدون أن تكون ردة فعلنا هكذا لكي يمارسوا علينا مزيدا من العنف والظلم متآمرين مع المسؤولين الذين هم أعداؤنا سلفا، ولكي يضيقوا الخناق على الأحمديين ويفرضوا على نظام الجماعة مزيدا من القيود أو يطلبوا ذلك من الحكومة، في حين أن بعض المسؤولين في الحكومة بل أكثرهم يكنون العداء للجماعة ويعضّدهم بعض الحكام من وراء الستار. ثم يستغل المنافقون أيضا مثل هذا الوضع. فكلما كانت ردود الفعل مثل هذه ساءت الظروف أكثر وهذا ما رأيناه، وهذا ما سيحدث الآن أيضا وهذا ما جربناه في الماضي أيضا أن مثل ردود الفعل هذه أدت

إلى أن تسوء الظروف أكثر. هناك بعض الأحداث في تاريخ الجماعة التي أضرت بدلا من النفع، وحين اتُخذت إجراءات قانونية لإصلاح الوضع بالصبر نفعت في كثير من المواقف وإن لم ينفع ذلك في كل المواقف. المهم أننا حين نبلّغ رسالة أننا نحن أيضا من القوم نفسه ويمكن أن تظهر ردة فعل خاطئة منا أيضا أو من بعضنا ولكننا نجتنبها لأنها تخالف تعليم الإسلام فذلك يؤثر إيجابيا في بعض المسؤولين شيئا فشيئا وهذا ما حدث بحسب ما جرّبنا. وإذا بدأنا نرد الشتائم بالشتائم والضرب بالضرب فذلك يؤثر سلبيا في الذين نبلغهم دعوة الأحمدية، فيكون لهم حق أن يقولوا ما هو التغيير الحسن الذي أحدثه المسيح الموعود عليه السلام فنقبل دعوته؟ إذ تعاملون أعداءكم مثل ما يعاملونكم.

إن من سنة الأنبياء وجماعاتهم أنهم يصبرون ويدعون كما أمر به الله ورسوله وكما علّمنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا. فعلينا أن نتذكر دوما أن علينا تحمل المصائب العارضة والصغيرة من أجل المصالح الشاملة للجماعة، بل قال المصلح الموعود رضي الله عنه ذات مرة: لا حاجة في بعض الأحيان لاتخاذ الإجراءات القانونية أيضا، بل علينا أن نتحمل المصائب بصبر.

على أية حال، قال المصلح الموعود رضي الله عنه بأن بعض الناس يمكن أن يقولوا بأن المسيح الموعود عليه السلام أيضا استخدم في كتبه كلمات قاسية لذا من حقنا أن نقسو. يجب أن يتذكر مثل هؤلاء الناس أن لله تعالى ولأنبيائه شأن آخر، كما نرى مثاله في الأمور الدنيوية أن قاضيا أو حاكما يسمي المتهم بالسارق فهذا عمله وحقه، وبناء على ذلك هو يعاقب المجرم ويحاول إصلاحه، ولكن ليس من عمل كل واحد أن يسمي الآخرين سارقين أو مجرمين، وإذا قال ذلك نشأ فساد وفتنة. فإذا كان المسيح الموعود عليه السلام قد أظهر أخطاء الناس وأشار إليها فذلك لإصلاحهم ولحمايتهم من المعتقدات الخاطئة ولكن فيما يتعلق بذاته فيقول عليه السلام:

إنني أدعو لهم بعد أن أسمع منهم الشتائم، إن رُحمي هائج، وقد كظمت الغيظ.

هذا ما علّمنا المسيح الموعود عليه السلام بأن تتحملوا مظالم الآخرين بالصبر، ولقد سرد المصلح الموعود رضي الله عنه واقعة من حياة المسيح الموعود عليه السلام كمثال وهي أن حضرة المسيح الموعود عليه السلام كان ذات مرة راكبا في عربة حصان في مدينة لاهور وكان أشرار المدينة يرمونه بالأحجار التي كانت تصيب العربة.

وكانت نوافذ عربة الحصان مغلقة، وكانت بعض الحجارة تكسر النوافذ وتصل داخل العربة، ومع ذلك لم يبد المسيح الموعود عليه السلام عبوسا وضيقا مما يفعلون، وكانت نتيجة هذا الصبر أن المئات منهم جاءوا فيما بعد وصاروا من خدامه عليه السلام. فهذه هي الأخلاق التي لا بد لنا اليوم من التحلي بها.

إذا كان البعض قد تجاوزوا الحدود تحقيقا لمآربهم الشخصية نتيجة الحقد والبغض الدفين في قلوبهم فإن الله تعالى سينتقم منهم بنفسه، شريطة أن نظل ندعو الله تعالى صابرين. ففي عهد الرسول ﷺ أيضا كان كثير من الناس قد أسلموا بما رأوه من الصبر والعزيمة من النبي ﷺ أو من أصحابه. ونجد هذه الأمثلة في هذا العصر أيضا، كما قال حضرة المصلح الموعود ؓ بأن كثيرا من الناس انضموا إلى جماعة سيدنا المسيح الموعود ؑ برؤية صبره على الأذى، ونرى اليوم أيضا بأن كثيرا من الناس يرسلون لي رسائلهم من شتى البلاد يخبرونني فيها أنهم دخلوا في الجماعة برؤية أمثلة الصبر من أبنائها.

قال المسيح الموعود ؑ مرة وهو يوصي جماعته بالصبر: الصبر جوهرة عظيمة. إن الذي يصبر ولا يتكلم مستشيطا بالغضب فإنه لا يتكلم من عنده بل الله يجعله يتكلم. فعلى أفراد الجماعة أن يصبروا، ولا يردوا بالقسوة على قسوة المعارضين، ولا يواجهوا السباب بالسباب. إن الذي يكذّبنا ليس لزاما عليه أن يتكلم بالأدب والاحترام.

ثم قال ؑ: وتوجد أمثلة كثيرة على ذلك في حياة النبي ﷺ. فليس هناك شيء مثل الصبر، ولكن الصبر صعب جدا، والله يؤيد الصابرين.

ثم يرسم المسيح الموعود ؑ حال جماعته ويذكر الصعوبات التي يواجهها الأحمديون الجدد، موصيا أبناءها بالصبر فيقول: إن جماعتنا أيضا تواجه من المصاعب ما تعرض له المسلمون في زمن النبي ﷺ، وأولى هذه المصائب أنه ما إنْ يدخل أحد في جماعتنا إلا ويخذله الأصدقاء والأقارب على الفور ويعاديه أحيانا الوالدان والإخوة والأخوات أيضا، حتى إنهم لا يردّون عليه السلام، ولا يصلّون عليه صلاة الجنازة. فهناك مصائب كثيرة من هذا القبيل. وأعلم أن البعض من الجماعة ذوو طبائع ضعيفة ويصابون بالقلق عند حلول هذه المصائب، ولكن تذكروا جيدا أنه لا مناص لنا من مثل هذه المصائب. إنكم لستم بأفضل من الأنبياء والرسل، فلقد حلّت بهم مثل هذه المصائب والمشاكل، وإنما لم تحل بهم إلا ليزدادوا إيمانا بالله تعالى ولتتاح لهم الفرصة لإحداث التغيير الطيب في نفوسهم. فواظِبوا على الدعاء. لا بد من أن تتأسوا بأسوة الأنبياء والرسل، وأن تتّبعوا سبل الصبر؛ ولا ضرر عليكم في ذلك. الصديق الذي يخذلكم بسبب قبولكم الحق ليس بصديق صدوق لكم، وإلا لكان معكم. عليكم ألا تختصموا مع الذين يهجرونكم بسبب انضمامكم إلى جماعة أسَّسها الله تعالى؛ بل ادعوا لهم في السرّ ليهبهم الله البصيرة والمعرفة التي وهبكم إياها بفضله. (فحضرتُه ؑ لم يمنعنا من النزاع والفساد فحسب، بل أمرنا بأن ندعو لهم ونكن لهم في قلوبنا المواساة لكي يكونوا أيضا من الذين يعرفون الحق). ثم قال

ﷺ: بَرْهِنوا بأسوتكم الطيبة وسيرتكم الحسنة على أنكم قد سلكتم الصراط القويم. إنني مأمور بأن أنصحكم مرة بعد أخرى بأن تجتنبوا مواقف الفساد والشر والنزاعات، واصبروا على الشتائم، وقابِلوا السيئة بالحسنة. إذا استعدّ أحد للفساد فالأفضل أن تنسحبوا من عنده، ورُدُّوا عليه بالرفق (القرآن أيضا يأمر بأن اخرجوا من مثل هذه المجالس والمواقف). في كثير من الأحيان يعارض المرء بحماس مفرط، وتُلجئه المعارضة إلى الفساد والشر، مما يؤدي إلى هياج الناس وثورتهم، ولكنه عندما يتلقى جوابا لينا من خصمه ولا يُواجَه بالشتائم مقابل الشتائم، فإنه يخجل بنفسه على تصرفه.

لا شك أن معظم الناس في هذا العصر صاروا عديمي الحياء، ويزدادون عدوانا رغم السلم أيضا، ولكن يوجد أيضا كثيرون يستحيون ويخجلون من تصرفاتهم في النهاية. (في بعض الخطب الماضية تحدثت عن الأحداث التي وقعت في بنغلاديش مؤخرا وذكرتُ فيها مثالا لشاب أحمدي بأنه لما قال لأحد المشاغبين المهاجمين هل تعلم ماذا تفعل وباسم من تفعل هكذا، فإن الخصم انتبه إلى خطئه وألقى من يده الحجر الذي أراد أن يرميه به.) ثم يقول ﷺ: أنصحكم صدقا وحقا أن لا تدَعوا الصبر يفلت من أيديكم. الصبر سلاح يُنجز ما لا تنجزه المدافع. الصبر هو الذي يغزو القلوب. اعلموا يقينا بأني أُصابُ بألم شديد حين يبلغني أن أحدا من جماعتي قد تشاجر مع أحد. إني لا أحب هذا التصرف أبدًا، كما أن الله تعالى أيضا لا يحب للجماعة التي قَدّر لها أن تكون نموذجًا مثاليًّا للجنس البشري أن تسلك هذا السبيل الذي ليس من سبل التقوى.

بل ها إني أصرح لكم بأنّ الله تعالى قد أوصى بهذا الأمر بحيث أن أحدا لا يتحلّى بالصّبر والحِلم رغم كونه من هذه الجماعة، فليتذكرْ أنه ليس من هذه الجماعة. (هذا تحذير شديد يجب أن نضعه في الحسبان دائما). ثم قال ﷺ: إنّ أكبر ما يمكن أن يثير حفيظتكم وحماسكم هو أنهم يكيلون لي أقذر الشتائم، (يقول ﷺ: إنما سبب هياجكم أنهم يسبونني سبًّا قذرا) وأقول لكم: عليكم أن تفوّضوا هذا الأمر إلى الله تعالى، لأنكم لا تستطيعون أن تنهوه. ففوِّضوا أمري إلى الله؛ ورغم سماع هذه الشتائم تحلّوا بالصبر وتحمّلوا. وما يدريكم كم من شتائم أسمعها. كثيرا ما تأتيني رسائل مليئة بالشتائم، كما يشتمونني في بطاقات مكشوفة، وأتلقى رسائل لا يدفع مرسلوها رسوم البريد، بل عليّ أن أدفعها، وعندما أفتحها لا أجد فيها إلا شتائم قذرة لا أظن أن نبيا شُتم بمثلها من قبل، ولا أظن أن أبا جهل أيضا كان بوسعه أن يكيل مثل هذه الشتائم. (أي أن السباب الذي يسبونني به ما كان ممكنا

لأبي جهل أيضا أن يسُبّ به)، ولكني مضطر لأسمع كل ذلك. فما دمتُ أصبر أنا فعليكم أيضا أن تصبروا. الفرع لا يفوق الشجرة.

فكما قال حضرة المصلح الموعود ﷺ: كان صبر المسيح الموعود ﷺ فيما يتعلق بذاته قد بلغ منتهاه. إذا كان المسيح الموعود ﷺ قد استخدم القسوة أحيانا فإنما كان بهدف الإصلاح، وكان هذا الحق قد منحه الله تعالى، وهذا الحق لا يُمنَح لكلٍّ واحد. وما دمنا لم نُعطَ هذا الحق، ومع ذلك إذا لم نقم بإصلاح أنفسنا، بل تصرفْنا بما ينافي هذا التعليم، فهناك إمكانية أكبر لانتشار الفساد والشر.

ثم يقول حضرته ﷺ: يجب أن تروا! إلامَ سيستمر هؤلاء في كيل الشتائم؟ سيتعبون أخيرا ويتوقفون. لا يمكن لشتائمهم وشرورهم ومكايدهم أن تهزمني أبدا. (وينبغي ألا نتعب نحن أيضا بسببها) لو لم أكن من الله لخفتُ شتائمهم حتمًا، ولكنني أعلم يقينا بأن الله بعثني، فلماذا أبالي بهذه الأشياء السخيفة؟ لا يمكن أن يحدث هذا أبدًا. فكّروا بأنفسكم، مَن تضرّر بشتائمهم؟ أنا أمْ هُم أنفسهم؟ لقد نقصت جماعتهم وازدادت جماعتي. (أي أن زيادة الجماعة تتحقق من خلال انضمام الناس إليها من بين جماعة هؤلاء) إن كان لشتائمهم أن تعرقل سبيلي فمن أين جاءت جماعتي البالغ عددها أزيد من مئتَي ألف نسمة. (أي كان عدد الجماعة قرابة مئتي ألف نسمة في الزمن الذي تكلم حضرته بهذا الكلام، أما اليوم فبفضل الله تعالى قد بلغت دعوته جميع بلاد العالم، وأقيمت جماعته فيها. هل حدث كل هذا من خلال إبداء ردة فعل أو إظهار قوة ما؟ كلا، بل هي نتيجة التضحيات والصبر والدعوات. فينبغي أن نبقى متحلّين بالصبر لتحقيق هذا الهدف الأكبر)، ثم يقول حضرته: هل جاء هؤلاء الناس من جماعة المعارضين أو من مكان آخر؟ لقد أطلقوا عليّ فتاوى الكفر ولكن ماذا كان تأثير فتاوى الكفر هذه؟ لقد ازداد عدد جماعتي. لو كان هذا الأمر نتاج تخطيطي أنا لكان من الواجب أن تؤثر تلك الفتوى سلبا، ولسببتْ عرقلة عظيمة في طريقي. ولكن الذي كان من عند الله ليس بوسع الإنسان أن يرُدّه. المكايد التي تحاك ضدي لا يسع العارفين إلا أن يتحسروا عليها. أقول بكل صراحة ووضوح بأن الذين يعارضونني كأنهم يضعون يدهم أمام نهر عظيم يجري بكل قوته، ويريدونه أن يتوقّف، (أي إنهم بوضعهم أياديهم أمام سيل الماء العارم الذي يجري بصورة نهر عظيم يظنون أنه سيتوقف، ولكنه لا يمكن أن يتوقف أبدًا. إنهم يحاولون من خلال شتائمهم أن يضعوا سدًّا أمام هذا النهر) ولكن يجب أن يعرفوا جيدا أنه لن يتوقف أبدًا. هل يليق بالشرفاء أن يكيلوا الشتائم؟ إنني أتأسف على هؤلاء المسلمين، وأتساءل: أي نوع من المسلمين هؤلاء، بحيث يطلقون ألسنتهم بمثل هذه الوقاحة؟ (حيث يكيلون

شتائم عجيبة وغريبة في تظاهراتهم في باكستان). قال حضرته: أقول حلفا بالله بأني لم أسمع مثل هذه الشتائم البذيئة من أحط الناس مكانة في المجتمع أيضا مثلما سمعتُها من هؤلاء الذين يُدعَون مسلمين. إن هؤلاء الناس يُظهرون بواطنهم من خلال هذه الشتائم، (أي يتضح من خلال شتائمهم نوع التفكير الذي يملكونه ونوع الأعمال التي يقترفونها) وكأنهم يعترفون أنهم فاسقون وفاجرون. ندعو الله تعالى أن يفتح عيونهم ويرحمهم.

ثم قال الَّعَلِيْهِ: "إن هؤلاء الشاتمين لا يستطيعون أن يضروا الله شيئا وإن كانوا عشرة ملايين. يزعمون أنهم لن يخسروا إلا بطاقة ثمنها مليم واحد، ولكنهم لا يدركون أنهم إلى جانب خسارتهم مليما يسوِّدون صحيفة أعمالهم. لا أفهم لماذا يشتمونني؟ ألأني أقول بألا تتركوا القرآن ولا تكذّبوا النبي ﷺ والأدهى والأمرّ من ذلك أنه قد ورد في القرآن الكريم أن عيسى الَّعَلِيْهِ قد مات ولن يعود إلى الأرض ولكنهم لا يقبلون، ومصرون على الاعتقاد الذي ينافي القرآن الكريم. لو لم آت، ولو لم يؤسس الله تعالى هذه الجماعة لكان من حقهم أن يقولوا ما يحلو لهم لأن منذرهم ومنبّههم لم يكن موجودا. أما الآن وقد بعثني الله تعالى وأنا ذلك الذي عدّه النبي ﷺ حكَما، فليس من حقهم أن يعترضوا على حُكمي. كان من مقتضى التقوى أن يسمعوا كلامي ويفكروا ولا يستعجلوا. أقول صدقا وحقا إنه لا يحق لهم بعد مجيئي أن يفتحوا فمهم، لأني جئت من الله حَكَمًا."

الحق أن الصبر الذي أبداه النبي ﷺ لا يضاهيه فيه أحد، فيقول المسيح الموعود الَّعَلِيْهِ في بيان ذلك: "لم يواجه موسى الَّعَلِيْهِ مثل هذه المصائب لأن قومه أي بني إسرائيل آمنوا به فورا، فلم يواجه أي إيذاء أو معاناة أو عائق من قِبل قومه ولكن على النقيض من ذلك واجه النبي ﷺ المصائب والإنكار من قومه. ففي هذه الحالة كم يثبت عظمة نجاح النبي ﷺ وهو أكبر دليل على كمالات فضائله. عندما بدأ النبي ﷺ بتبليغ الدعوة بإذن الله وأمْره واجَه مرحلةً أولى أنّ القوم أنكروه. لقد ورد أنه ﷺ استضاف قريشا ودعا الجميع فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. عندما أقروا بذلك، قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فما أن قال ذلك حتى استشاط الجميع غضبا، وقال شرير منهم: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ. من المؤسف حقا أن الأمر الذي كان خيرا لهم ومدعاة لنجاتهم استاء منه قوم جاهلون واستعدوا للمعارضة. وانظروا مقابل ذلك إلى قوم موسى أن بني إسرائيل الذين كانوا قوما قساة القلب بوجه

عام ولكنهم آمنوا بموسى فور تبليغه الدعوة لهم. أما مَن كان أفضل من موسى فلم يؤمن به قومه بل استعدوا للمعارضة، فبدأت سلسلة المصائب وبدأوا يخططون لقتله فطالت هذه الفترة إلى ١٣ عاما.

إن الفترة الممتدة إلى ١٣ عاما ليست بقصيرة. لقد تحمل النبي ﷺ في هذه الفترة من المصاعب ما يتعذر بيانه. لم يدّخر قومه جهداً في إيذائه وتعذيبه من ناحية، ومن ناحية ثانية كان الله تعالى يأمره مرارا وتكرارا بالصبر والمثابرة قائلاً: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. فكان النبي ﷺ يتحمل كل هذه المصائب و لم يتوانَ في التبليغ بل مضى قُدُما دائما. ثم إن صبره لم يكن كمثل الأنبياء الآخرين لأنهم كانوا قد بُعثوا لأمة معينة، وكان إيذاؤهم أيضا مقتصرا على هذا الحد. بينما قام النبي العظيم ﷺ، إذ خالفه قومه من أول يوم وآلوا على تعذيبه وإيذائه، كما أن النصارى أيضا أصبحوا أعداء له. وحين قيل لهم بأن عيسى عليه السلام كان عبد الله ورسوله فقط استشاطوا غضبا لأنهم كانوا قد ألّهوه، ولكن النبي ﷺ كشف الحقيقة. من المعلوم أن الإنسان عندما يتخذ أحدا إلها ومعبودا لا يسهل عليه التخلي عن هذا المعتقد بل يتعذر عليه تركه. ولما كان هذا الاعتقاد راسخا عند النصارى لذا عندما سمعوا أن النبي ﷺ أثبت أن إلههم الزائف إنسان صاروا عطاشى لدمه. (فمن ناحية كان قومه عدوا له ومن ناحية أخرى ناصبَه الكفارُ والمشركون العَداء، ثم عاداه المسيحيون أيضا) كذلك تطرقت إلى اليهود أيضا كثير من التقاليد الشركية فكانوا ينكرون المسيح عليه السلام إنكارا مطلقا، (الآن بدأ ذكر اليهود، فقد تطرقت إليهم تقاليد الشرك وكفروا بالمسيح كفرا باتّا و لم يكونوا جاهزين للإيمان بعيسى عليه السلام) فعندما نُبِّهوا بذلك هبّوا هم الآخرون أيضا للمعارضة. (فقد صار اليهود والمسيحيون والمشركون وأتباع الأديان الأخرى معارضين له) فاليهود كانوا يسمون المسيح عليه السلام مكارا وكذابا، والعياذ بالله. ولكن النبي ﷺ قال لهم مقابل ذلك بأنكم أنتم الكذابون في تسميته كذابا، بينما المسيح هو نبي الله العظيم.

إضافة إلى ذلك كان من أسباب معارضتهم الكبيرة أنهم ظنوا لجهلهم وغباوتهم أن خاتم الأنبياء سيأتي من بني إسرائيل لأنهم وقعوا في شبهات كلمات النبوءة التي وردت عن النبي الأخير في التوراة كما جرت سنة الله. لقد ورد في التوراة أنه سيكون من إخوتكم ولكنهم ظنوا أن المراد هو بنو إسرائيل بينما كان المراد هم بنو إسماعيل. فحين سمعوا دعوى النبي ﷺ بأنه هو خاتم الأنبياء خابت آمالهم، واعتبر ما كانوا يزعمونه بحسب النبوءة الواردة في التوراة باطلا. فاستشاطوا بذلك غضبا وهبّوا للمعارضة.

لقد جاء إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أحمدي من إحدى القرى، وذكر له معارضة شيخ في قريته وطلب منه الدعاء قائلا: في قريتي شيخٌ يعمل في المدرسة وهو يعارض الجماعة بشدة ويؤذيني أشد الأذى، أرجو الدعاء من حضرتك أن يبدله الله من هناك. فتبسم حضرته ثم قال له ناصحا، حين انضممتَ إلى هذه الجماعة فاعمل بتعليمها. فإن لم تصبك المصائب فأنى لك الثواب! فقد تحمَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذى في مكة على مدة ١٣ سنة، أنتم لا تعرفون مصائب ذلك الزمن ولا هي أصابتكم، لكنه صلى الله عليه وسلم علَّم الصحابة الصبر حصرا، فهلك الأعداء كلُّهم في نهاية المطاف. ويوشك ألا تَروا أنتم أيضا هؤلاء الأشرارَ، ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن ينشر هذه الجماعة الطاهرة في العالم، الآن حين يراكم هؤلاء قليلين يؤذونكم وعندما تكبر هذه الجماعة فسوف يسكت هؤلاء كلُّهم تلقائيا. لو أراد الله سبحانه وتعالى لما آذَوكم، وما ظهر هؤلاء المؤذون، لكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلِّم الصبر بواسطتهم، فسترون بعد مدة قصيرة أنه لم يبق شيء. فالذي يؤذي فإما يتوب أو يفنى. وصلتني رسائل كثيرة كتب فيها أصحابها قائلين: إنا كنا نطلق عليكم الشتائم ونعتبر ذلك ثوابا، لكننا الآن نتوب ونريد أن نبايع. فالصبر أيضا من العبادة، ويقول الله سبحانه وتعالى إن الصابرين سيُعطَون الأجر بغير حساب، أي سيتلقون إنعامات بلا حساب. وهذا الأجر للصابرين فقط، إذ لم يعِد الله سبحانه وتعالى بذلك بحق العبادات الأخرى. فحين يعيش المرء في جوار شخص ويؤذى تجيش غيرةُ المجير أخيرا، فيهلك المؤذي. وكذلك فإن جماعتنا أيضا في حماية الله، وبتحمل الأذى يقوى الإيمان، فلا شيء يماثل الصبر.

ذات مرة جاء بعض الناس إلى قاديان من أجل البيعة فقال لهم حضرته ناصحا: المادِّيون يتكلون على الأسباب، لكن الله لا يضطر لاستخدام الوسائل والأسباب، فهو حين يريد ينجز أعمال أحبته بدون الوسائل أيضًا، وأحيانًا يخلق لهم الوسائل، ويحدث أحيانا أنه يقضي على الوسائل المهيأة.

باختصار طهِّروا أعمالكم من الشوائب واذكروا الله سبحانه وتعالى دومًا ولا تغفلوا، فكما أن الحيوان الذي يجري أمام الصياد إذا تلكأ قليلا يمسكه الصياد، كذلك الشيطان يصيد الغافل عن ذكر الله. أحيوا التوبة دوما ولا تدَعوها تموت، لأن العضو الذي يُستخدم فهو العامل والنافع أما الذي يُترك ولا يستخدم فيصير عاطلا للأبد. فكذلك يجب أن تجعلوا التوبة متحركة حتى لا تموت، فإن لم تكن توبتُكم صادقة فمثلها كبذرة تبذر على صخرة، أما إذا كانت صادقة فمثلها كمثل بذرة تزرع في أرض خصبة وتثمر في موعدها. في هذه الأيام تعترض هذه التوبةَ عوائق كبيرة. (لقد قال لهؤلاء المبايعين الجدد) إنكم ستسمعون كثيراً بعد الانصراف من هنا وسوف يختلق الناس أقاويل كثيرة، أنكم

بايعتم مجذومًا وكافرًا ودجالًا، (وسوف يسبّون المسيح الموعود ﷺ) فلا تثوروا أمام هؤلاء القائلين أبدًا، إنما أُمرنا من الله بالتحلي بالصبر.

(إذن هذه هي الأمور التي يجب أن نتذكرها دوما، فقد قال حضرته): لذا ينبغي أن تدعوا الله أن يهديهم أيضًا.

إن ما أُمر به المسيح الموعود ﷺ هو الصبر. إذن فمفتاح نجاحنا أيضا يكمن في الاقتفاء بأثره. فقد قال ﷺ: إن السلاح لغلبتنا هو الاستغفار والتوبة والاطلاع على العلوم الدينية، (لا أن نردّ على تصرفات المعارضين بمثلها) ومراعاة عظمة الله وإقامة الصلوات الخمس. الصلاة مفتاح قبول الدعاء فادعوا الله ﷻ في الصلاة ولا تتكاسلوا، واجتنبوا كل سيئة سواء كانت تتعلق بحقوق الله أو حقوق العباد. (أي اجتنبوا كل سيئة)

إذن فهذه هي المواعظ التي هي الأساس لنجاحنا وازدهارنا. فإذا اهتممنا بشكل صحيح كما قال سيدنا المسيح الموعود ﷺ بالاستغفار والتوبة والاطلاع على علوم الدين وإقامة الصلوات الخمس على الدوام فإن نجاحنا مؤكد. فبقدر ما يتمادى العدو في الشر والثورة علينا أن نتيب إلى الله ﷻ بأكثر من ذلك، ففي ذلك حصرًا يكمن سرُّ نجاحنا، فبهذا قد نصحنا المسيح الموعود ﷺ مرارا وتكرارا، وليس بإبداء أي نوع من ردود الفعل. إن نجاحنا كما قال ﷺ مقدَّر في كل حال. إن شاء الله.

ويجب أن نتذكر أن علينا أن نواصل أعمالنا بحكمة، فبالحكمة يمكن إنجاز أعمال كثيرة، لذا فإن اتخاذ الحكمة ضروري جدا. إذا أدرك كل أحمدي مسئوليته هذه فيمكن أن نحل كثيرا من مسائلنا بتصرفاتنا ودعواتنا. رزقنا الله الصبر ووفقنا للدعاء والعمل بهذه النصائح ابتغاء مرضاته.